الحج
وأصناف الناس الأربعة

الشيخ ندا أبو أحمد

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحج وأصناف الناس الأربعة

تأليف

الشيخ: ندا أبو أحمد

الحج وأصناف الناس الأربعة

للشيخ: ندا أبو أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} ، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}

أما بعد:

اعلموا أيها الأحبة أن لله مواسم ونفحات يصيب بها من يشاء من عباده فالسعيد من أغتنم هذه الأوقات وتقرب إلى مولاه رب الأرض والسماوات فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات فيسعد بعدها سعادة لا يشقى بعدها أبدًا.

ومن هذه الأيام المباركات العشر من ذي الحجة وهي أفضل أيام الدنيا وقد شرع الله فيها حج بيته الحرام

فالحج أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام وهو من أفضل الطاعات وأجلّ القربات التي ترضي رب الأرض والسماوات وهو عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين.

وقف الناس جميعًا في صعيد واحد، وسمعوا قول الحق سبحانه وتعالى:

{وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 97]، وسمعوا قوله تعالى: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [البقرة: 196].

- وسمعوا قول النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - الثابت في صحيح البخاري ومسلم: ((بني الإسلام على خمس))، ذكر منهم: ((وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً)).

- وسمعوا قول النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - الثابت في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: عندما سُئِلَ: أيُّ العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله)). قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)). قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حجٌّ مبرورٌ)).

- وعند الإمام أحمد من حديث ماعز بلفظ: أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - سُئِلَ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: ((إيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حَجَّة مبرورة تفضل سائر الأعمال، كما بين مطلع الشمس إلى مغربها)).

- وعند ابن حبَّان من حديث أبي هريرة: أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((أفضل الأعمال عند الله تعالى إيمانٌ لا شك فيه، وغزوٌ لا غلول فيه، وحجٌّ مبرور)).

*** فانقسم الناسُ إلى أصناف أربع فانتبه لترى من أي صِنف أنت...؟**

– الصنف الأول: صنف معه مال، فتحرك فيه الشوق إلى بيت الله الحرام

فهم الذين عقدوا الإحرام وقصدوا البيت الحرام وملؤوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد والإعظام يرددون: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك".

*** فهنيئًا لهذا الصنف، كيف لا وقد جعل اللهُ سعيهم مشكورًا وذنبهم مغفورًا! فمن قصد البيت غُفرَ له ما تقدم من الذنب!**

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عمرو بن العاص – رضيَ الله عنه – قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيتُ النبيَ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقلتُ: يا رسول الله، ابسط يمينك لأُبايعك. فبسط يمينه. قال: فقبضتُ يدي؛ فقال: ((ما لك يا عمرو؟)). قلتُ: أردت أن اشترط. قال: ((تشترط بماذا؟)). قال: أن يُغفر لي. قال النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ((أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟)).

فالله جعل قصد البيت مُكفرًا لما سلف من الذنوب ماحيًا للأوزار والعيوب حاطًا للخطايا يخرج الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: سمعت النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول: ((من حج لله فلم يرفث و لم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه)).

قال الحافظ في الحديث السابق كما في (فتح الباري: 3/ 44): "ظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات". أهـــ.

وهذا الحديث من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس الذي رواه ابن ماجه؛ فقد أخرج ابن ماجه والإمام أحمد من حديث العباس بن مرداس: أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة، فأجُيبَ: إني قد غفرت لهم، ما خلا الظالم؛ فإني آخذ للمظلوم منه. قال: ((أي ربِّ، إن شئت أعطيتَ المظلوم من الجنة، وغفرتَ للظالم)). فلم يُجَبْ عشيةً، فلما أصبح بالمُزدلفة أعاد الدعاء؛ فأُجيب إلى ما سأل. فضحك رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم. أو قال: تبسَّم. فقال أبو بكر بأبي أنت وأمي إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي أضحكك، أضحك الله سِنَّك؟ قال: إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي وغفر لأمتي؛ أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه، ويدعو بالويل والثبور، فأضحكني ما رأيتُ من جزعه))[1]

[1] هو حديث حسن رواه الإمام أحمد في مسنده (رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه) وأخرج أبو داود طرفا منه

*** فهنيئًا لهذا الصنف، كيف لا وهم الذين نزلوا أضيافًا على الرحمن!**

– فقد أخرج البيهقي أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((الحجّاج والعمَّار وفد الله – عزَّ وجلَّ – يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويُخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم ألف ألف)).

وأخرج ابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (7047) عن ابن عمر أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((الغازي في سبيل الله – عزَّ وجلَّ – والحاج والمُعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم)).

– وأخرج الإمام أحمد في مسنده وصححه السيوطي من حديث بريدة أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف)).

– وأخرج الطبراني أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((إن داود النبي عليه الصلاة والسلام قال: إلهي، ما لِعِبادَكَ عليك إذا ما زاروك في بيتك؟ قال: لكل زائر حق على المزور، حقًّا يا داود، إن لهم عليَّ أن أعافيهم في الدنيا واغفر لهم إذا لقيتهُم)).

فهنيئًا لأضياف الرحمن، ولذلك يستحب لأهل الموقف الإفطار لأنهم ضيوف الرحمن والكريم لا يُجَوعُ أضيافه.

ولذلك فهو يحفظهم ويكلؤهم؛ فالحجاج في ضمان الله.

– فقد أخرج أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع من حديث أبي هريرة عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((ثلاثة في ضمان الله – عزَّ وجلَّ –: رجل خرج إلي مسجد من مساجد الله، ورجل خرج غازيًا في سبيل الله، ورجل خرج حاجًّا)).

قال المناوي: "في ضمان الله – عزَّ وجلَّ –: أي في حفظه وكلاءته ورعايته".

– **قال ابن حجر**: سكت عليه أبو داود فهو على رأي ابن الصلاح ومن تبعه حسن وعلى رأى الجمهور كذلك ولكن باعتبار انضمام الطرق الأخرى إليه لا بانفراده. وأخرجه الضياء في المختارة وبذلك أخذ الجمهور (وهو غفران الذنوب جميعها) واستنبط بعضهم ذلك من مباهاة الملائكة بالحجاج لأن الملائكة مُطهرون مطلقًا ولا يباهي المطهر المطلق إلا بمطهر مطلق . وقال تعالى: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} ظُلمْ بعضهم بعضا دون الشرك.

قال المناوي كما في فيض القدير (6/ 115) في قول النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: " من حج لله فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " أي خلوه من الذنوب وهو يشمل الكبائر والتبعات، وإليه ذهب القرطبي وعياض لكن قال الطبري: هو محمول بالنسبة إلي المظالم على من تاب وعجز عن وفائها. قال الترندى: هو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق الله لا العباد ولا يسقط الحق نفسه بل من عليه صلاة يسقط عنه أثم تأخيرها لا نفسها ... اهـــ.

وخروجًا من هذا الخلاف بين أهل العلم فينبغي على من أراد الحج قضاء الدين ورد المظالم والتوبة والندم قبل التوجه إلي بيت الله الحرام . وقال البيهقي في سننه: هذا الحديث له شواهد كثيرة قد ذكرناها في كتاب البعث فإن صح بشواهده ففيه الحجة.

– وقال ابن حجر في قوة الحجاج ص 60: وحديث ابن عباس بن مرداس يدخل في حسن الحسن على رأي الترمذي ولاسيما بالنظر إلي مجموع هذه الطرق. – ولكن الشيخ الألباني **ضعف الحديث** .

*** فهنيئًا لهم، كيف لا وهم الذين أهلُّوا بالتكبير والتحميد فبشرهم العزيزُ الحميد بالجنة ودار النعيم والخلود!**

- فقد أخرج الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني من حديث أبي هريرة عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((ما أَهَلَّ مُهِلٌّ قط ولا كبر مكبرٌ قط إلا بُشِّرَ بالجنة)).

فهنيئًا لهم، كيف لا وهم الذين شربوا من ماءِ زمزم!

- فقد أخرج ابن أبي شيبه والبزار وصححه الألباني من حديث أبي ذر أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((زمزم مباركة إنها طعام طعم وشفاء سقم)).

وفي مسند الإمام أحمد وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (5378) من حديث جابر عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((ماءُ زمزم لما شُرِبَ له)).

وورد عند الدراقطني عن ابن عباس - رضيَ الله عنه - قال: ((ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي به شفاك الله وإن شربته يشبعك أشبعك الله به، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وإن شربته مستعيذًا أعاذك الله، وهي هزمة جبريل وسقيا إسماعيل)).

*** فهنيئًا لهذا الصنف، كيف لا وهم الذين تتنزل عليهم الرحمات!**

- فقد أخرج الطبراني وقال المنذري، رواه البيهقي بسندٍ حسن أنه - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((إن الله سبحانه وتعالى ينزل على أهل المسجد - يعني مسجد مكة - في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة، ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين)).

*** فهنيئًا لهذا الصنف، كيف لا وهم الذين صلوا في مسجد الحبيب - صلَّى الله عليه وسلَّم!**

- وعن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقول كما في "صحيح مسلم": ((صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)).

- وأخرج البخاري ومسلم أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة))؛ فمن صلى في هذا المكان يُرجى له أن يكون من أصحاب الجنة.

- وأخرج الإمام أحمد وقال المنذري رجاله رجال الصحيح أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب، وبراءة من النفاق)).

فهنيئًا لهذا الصنف، كيف لا وهم الذين صلوا في بيت الله الحرام!

- فقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن جابر أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال:

((صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه)).

*** فهنيئًا لهذا الصنف، كيف لا وهم الذين استلموا الركنين (الحجر الأسود - والركن اليمني)**

– أخرج الترمذي والنسائي والطبراني من حديث عبيد بن عمير قال: كان ابن عمر يزاحم على الركنين زحامًا ما رأيتُ أحدًا من أصحاب النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يفعله؛ فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنك تزاحم على الركنين زحامًا ما رأيتُ أحد من أصحاب النبي يزاحم عليه. فقال: نعم أنا أفعل فإني سمعت رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول إن مسحهما كفارة للخطايا، وسمعته يقول: ((من طاف بهذا البيت أسبوعًا فأحصاه؛ كان كعتق رقبة)). وسمعته يقول: ((لا يضع قدمًا ولا يرفع أخرى إلا حطَّ الله عنه خطيئة وكتب له بها حسنة)).

– وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والترمذي وصححه الألباني عن ابن عمر أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((إن مسح الحجر الأسود والركن اليمني يحطان الخطايا حطًّا)).

– وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع (5222) أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من أستلمه بحق)).

*** فمن مثلك أيها الحاج فإن الملك ينزل إلي السماء الدنيا ويباهي بك الملائكة وغير ذلك من الفضل الذي يبينه لنا النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –:**

– فقد أخرج الطبراني والبزار واللفظ له: أن رجلاً من ثقيف جاء إلي النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يسأله عن الحج وماله فيه فقال له النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((فإنك إذا خرجت (من بيتك) تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خُفًا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك خطيئة.

وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل عليه السلام.

وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة.

وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلي السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاءوني شعثًا من كل فجٍ عميق يرجون جنتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ولمن شفعتم له.

وأما رميُكَ الحجار فلك بكل حصاه رميتَها تكفيرُ كبيرةٌ من الموبقات.

وأما نحرك (هديك) فمدخور لك عند ربك.

وأما حلاقتك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك خطيئة.

وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يده بين كتفيك فيقول: أعمل فيما تستقبل فقد غُفر لك ما مضى)).

– وقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر بسند صحيح صححه الألباني أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يدًا إلا كتب الله له بها حسنة أو محا عنه سيئة أو رفعه بها درجة)).

– وأخرج أبو يعلى بسنده أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((أن الله تطول على أهل عرفات يباهي بهم الملائكة يقول يا ملائكتي أنظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا أقبلوا يضربون إلىَّ من كل فجٍ عميق فأشهدكم أني قد أجبتُ دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مُسيئهم لمحسنهمُ ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مُسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني وكفلت عنهم التبعات التي بهم)).

فأي كرامة بعد هذه الكرامة التي أعدها الله لزوار بيته وحجاج حرمه ووفده يغسل ذنوبهم ويطهر نفوسهم ويبارك لهم في أعمالهم ويخلف عليهم ما أنفقوا ويستجيب دعاءهم، وينظر إليهم ويباهي بهم الملائكة ويجزيهم بما عملوا جنات تجري من تحتها الأنهار ويكفهم شر النيران...

* فإن الله – عزَّ وجلَّ – لم يرضى لقاصد بيته ثوابًا دون الجنة.

– فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ((العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة "

قال المناوي في (فتح القدير): "لا يقتصر الحج لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه فقط؛ بل لابد أن يدخله مع السابقين أو يدخله الجنة بغير حساب وإلا فكل مؤمن يدخلها وإن لم يحج".

– وعند الإمام أحمد والترمذي بسندٍ صحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((تابعوا بين الحج والعمرة فإنها ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة)).

*** فالحج ثوابه العتق من النار:**

– فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عائشة أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((ما من يوم أكثر من أن يعتق اللهُ فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة)).

***ودخول جنة الرحمن:**

1– فقد أخرج الطبراني بإسناد جيد عن أبي الدرداء عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه)).

2– وعند أحمد والترمذي من حديث معاذ بن جبل – رضيَ الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعملٍ يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: ((لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت)).

*** الصنف الثاني: صنف معه مال ولم يحج**

فهذا على خطر عظيم وجرم كبير، وقبل الكلام على هذا الصنف هناك سؤال يَطرحُ نفسه...

هل الحج على الفور أم على التراخي؟

اختلف العلماء في هذه المسألة: فذهب جمهور العلماء أبو حنيفة (في أصح الروايتين) وأبو يوسف ومالك – في رواية عنه – وأحمد أنه يجب على الفور وأنه يأثم بتأخيره. بينما ذهب الشافعي إلى أنه على التراخي. والراجح من حيث الدليل أنه على الفور؛ أي أن العبد إذا ملك حد الاستطاعة أي يملك المسلم ما يوصله إلى بيت الله الحرام مع نفقته ونفقة أهله حتى يرجع فينبغي عليه أن يحج بيت الله الحرام.

ويدل على ذلك القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة ويدل على ذلك أيضًا الأدلة اللغوية والأدلة الفعلية

***أولاً: الأدلة من القرآن**

قوله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133]، وقوله تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [الحديد: 21]، {فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ}.

كذلك حذرنا الله – عزَّ وجلَّ – من اقتراب الأجل ونحن لا نشعر

قال تعالى: {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ} [الأعراف: 18]، ففي هذه الآية يتضح لنا أنه يجب على الإنسان أن يبادر إلى امتثال الأمر خشية أن يعاجل العبد الموت وهو لا يدرى.

***ثانيًا: الأدلة من السنة**

– ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة – رضيَ الله عنه – قال: خطبنا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال: ((يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا)).

والأصل في الأمر أن يكون على الفور ما لم يصرفه صارف وعلي هذا فينبغي المبادرة.

– وأخرج أبو داود أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((التؤدة في كل شيء – وفي رواية:– خير، إلا في عمل الآخرة)).

– وهناك جملة من الأحاديث تصل بمجموعها إلى درجة الاحتجاج تدل على الفورية منها:

– ما أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث ابن عباس عن الفضل أو أحدهما عن الآخر قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ((من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة (الراحلة) وتعرض الحاجة)).

– قال المناوي كما في (فتح القدير 46/6): "يمرض المريض: المريض لا يمرض بل الصحيح فسمى المُشارف للمرض مريضًا كما سمى المُشارف للموت ميتًا، ومنه قوله تعالى: { وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}، أي: صائر إلى الفجور والكفر".

- في صحيح الجامع (2957) عن ابن عباس أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((تعجلوا إلي الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له)).

قال الألباني كما في (الإرواء): إسناده ضعيف لكن لعله يتقوى بالطريقة الأولى فيرتقي إلى درجة الحسن وقد صححه عبد الحق في الأحكام.

- وأخرج الإمام أحمد وغيره عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال:

((من لم تحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج فليمت إن شاء يهوديًّا وإن شاء نصرانيًّا)).

- وهو عند سعيد بن منصور في سننه بلفظ: ((من مات و لم يحج حجة الإسلام لم يمنعه مرض حابس أو سلطان جائر أو حاجة ظاهرة فليمت على أي حال شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا)).

- وأخرج ابن حبان وأبو يعلى والبيهقي من أبي حديث سعيد الخدري عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال:يقول الله تعالى: ((إن عبدًا صححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليَّ لمحروم)).

وانظر إلى قوله لا يفد إليَّ و لم يقل إلى بيتي لأن الحج هو الرحلة إلى الله والحجاج والعمَّار وفد الله فكيف لا يكون محرومًا من لا يفد ولا يرحل إليه، وكيف لا يكون محرومًا من لا يكون من قوم يباهي الله بهم الملائكة.

- وهذا الحديث يدل على استحبابه كل خمسة أعوام وأما حج الفريضة فهو مرة من العمر.

*** ثالثًا: الآثار**

- أخرج البيهقي بسندٍ صحيح عن عمر بن الخطاب - رضيَ الله عنه - قال: ((لقد هممتُ أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كانت له جدة و لم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين)).

- وأخرج الترمذي عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - والصحيح أنه موقوف على عليّ بن أبي طالب - رضيَ الله عنه - أنه قال: ((من ملك زادًا أو راحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام و لم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًّا أو نصرانيًّا))، وذلك لقوله تعالى {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

- وأخرج الترمذي أيضًا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((من كان له مال يبلغه حج بيت الله الحرام و لم يحج أو تجب فيه زكاة و لم يُزكِّ سأل الله الرجعة عند الموت، فقال له رجل: أتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال ابن عباس: سأتلوا عليك قرآنًا: { وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون: 10]

وقال سعيد بن جبير: "مات لي جار موسر و لم يحج فلم أصل عليه ".

تنبيه: وهذا كله من باب التقريع وليس من باب تكفير من ترك هذه الفريضة مع القدرة عليها.

*رابعًا: الأدلة من اللغة

فإن أهل اللغة وأهل لسان العرب مطبقون على أن السيد لو قال لعبده اسقني ماءً فلم يفعل فأدبه فليس للعبد أن يقول هذا الأمر على التراخي.

* خامسًا: الأدلة العقلية

فلو قلنا أن وجوب الحج على التراخي فلا يخلو من أحد أمرين:

1- إما أن يكون ذلك التراخي له غاية معينة ينتهي إليها.... وإما لا.

- والقول بأن له غاية ينتهي إليها ليس عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع.

2- وإن قلنا أن تراخيه إلى غير غاية فما جاز تركه إلى غير غاية دلَّ على عدم وجوبه والمفروض وجوبه.

فإن قيل غايته الوقت الذي يغلب على الظن بقاؤه إليه فالجواب أن البقاء إلى زمن متأخر ليس لأحد أن يظنه لأن الموت يأتي بغتة

فكم من إنسان يظن أنه يبقى سنين طويلة ويخترمه الموت فجأة.

- كما قال تعالى: {وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ}

فيا لها من عبادة يُعدم بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال.

فكيف تطيب نفس المؤمن أن يترك الحج مع قدرته عليه بماله وبدنه وهو يعلم أنه من فرائض الإسلام وأركانه.

وكيف يبخل بالمال في أداء هذه الفريضة وهو ينفق الكثير من ماله فيما تهواه نفسه.

وكيف لا يريد أن يتعب نفسه في الحج وهو يُتعب ويرهق نفسه في أمور الدنيا.

وكيف يتثاقل عن هذه الفريضة وهي لا تجب في العمر إلا مرة واحدة.

وكيف يؤخر أداء الحج وهو لا يدري لعله لا يستطيع الوصول إليه بعد عامه.

فإياك إياك أخي الحبيب وطول الأمل

فيا من أعطاه الله المال و لم يحج... أعلم أن العمر قصير والباقي منه هو اليسير والأجل محدود غير معلوم، والغنى غير ميسور، والصحة غير مأمونة...

فيا أيها الحبيب:

أما سمعت الله تعالى يقول لنبيه: { ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: 3]، أي: دعهم يعيشوا كالأنعام ولا يهتمون بغير الطعام والشهوات ويشغلهم الأملُ وطول الأمل عن طاعة رب العالمين.

- أما سمعت قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ} [الأعراف: 185]

أيها الحبيب:

أما سمعت أنس بن مالك وهو يحدثك عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - والحديث عند البخاري: خطَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - خطًّا وقال: ((هذا الإنسان)). وخطَّ إلى جنبه خطًّا وقال: ((هذا أجله)). وخطَّ خطًّا آخَر بعيدًا منه فقال: ((وهذا الأمل فبينما هو كذلك إذا جاءه الأقرب)).

فَكَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لا يَسْتَكْمِلُهْ = وَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ لِغَدٍ لا يُدْرِكُهْ

فيا أيها الغافل:

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ اشْتَغَلْ = وَغَرَّهُ طُولُ الأَمَلْ

وَقَدْ مَضَى فِي غَفْلَةٍ = حَتَّى دَنَا مِنْهُ الأَجَلْ

الْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً = وَالْقَبْرُ صُنْدُوقُ الْعَمَلْ

- فالنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان يخاف علينا من طول الأمل؛ فقد أخرج الحاكم - بسندٍ فيه مقال - عن جابر عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((أن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل فأما الهوى فيضل عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة)).

- فحدث نفسك أيها الغافل وقل لها:

يَا نَفْسُ قَدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ = وَأَظَلَّكِ الْخَطْبُ الْجَلِيلُ

فَتَأَهَّبِي يَا نَفْسُ لا يَلْعَــ = ــبْ بِكِ الأَمَلُ الطَّوِيلُ

فَلَتَنْزِلِنَّ بِمَنْزِلٍ = يَنْسَى الْخَلِيلُ بِهِ الخَلِيلُ

وَلَيَرْكَبَنَّ عَلَيْكَ فِيهِ = مِنَ الثَّرَى ثِقَلٌ ثَقِيلُ

فالمبادرة المبادرة،،،

- يقول الحسن البصري: "المبادرة المبادرة، فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله - عزَّ وجلَّ - رحم الله امرأً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه"، ثم قرأ هذه الآية: {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا}، "فآخر العدد خروج نفسك، وآخر العدد فراق أهلك وآخر العدد دخولك في قبرك".

فلك أيها الإنسان خطوات لا تتخطاها ولك أنفاس لا تتعداها.

ولذلك فالنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يحثنا على المبادرة واغتنام العمر والأوقات:

- فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((بادروا بالأعمال سبعًا هل تنظرون إلا فقرًا منسيًا وغنى مطغيًا أو مرضًا مفسدًا أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)).

- وعند ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله قال: ((خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا)).

- وأخرج الحاكم من حديث ابن عباس قال: رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لرجل وهو يعظه: ((اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)).

فعليك بالندم اليوم والتوبة قبل أن تندم في يوم لا ينفع فيه ندم ساعتها يقول الإنسان: { رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ } [المؤمنون: 99]، {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [الزمر: 58]، وليتمثل قوله تعالى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} {المنافقون 10- 11]

فساعة يأتيك الموتُ فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد، فعليك أن تعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة.

وَلا تَرْجُ فِعْلَ الْخَيْرِ إِلَى غَدٍ = فَلَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

فالغنيمة الغنيمة بانتهاز هذه المواسم الفاضلة فما منها عوض، والمبادرة المبادرة بالعمل والعَجل العَجل قبل هجوم الأجل، قبل أن يندم المُفرط على ما فعل، قبل أن يسأل الرجعة فيعمل صالحًا فلا يجاب إلى ما سأل، قبل أن يحول الموت بين المؤمل وبلوغ الأمل، قبل أن يصير المرء مرتهنًا في حفرته بما قدم من عمل.

وصدق القائل:

لَيْسَ فِي كَلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانِ = تَتَهَيَّأُ صَنَائِعُ الإِحْسَانِ

فَإِذَا أَمْكَنَتْ فَبَادِرْ إِلَيْهَا = حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الإِمْكَانِ

واعلم أيها المشتاق:

أن الفرصة إذا لم يغتنمها صاحبها انقلبت إلى حسرة وقد تتهيأ لك الأسباب اليوم ولا تتهيأ غدًا، فازرع اليوم لتحصد في الغد وإن الغد لقريب، واعلم: أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيرًا شرح صدره لما فيه فلاحه ونجاته واستعمل جوارحه في مرضاته، والسعيد الموفق إذا جاءته الموعظة أنفتح لها قلبه ونشطت للعمل عليها جوارحه، أولئك لهم البشرى كما قال المولى سبحانه: {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [الزمر: 18].

*** الصنف الثالث: صنف ليس معه مال ولا يتمنى الحج ولم يحدث نفسه به، ولا يشتاق إليه**

هذا الصنف على خطر كذلك، ونحن لا نريد منه إلا أن يُحسن نيته وأن تهفو نفسه دائمًا ويشتاق لرؤية بيت الله الحرام فإذا علم اللهُ حسن نيته وإرادته الحج فإنه قد يعطيه ما يبلغه لزيارة بيته لصدق نيته.

– وانظر إلى قول النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – والذي أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة: ((ثلاث حق على الله أن يعينهم الناكحُ يُريدُ العفاف، والمجاهد في سبيل الله والمُكاتب الذي يريد الأداء)). فلما علم الله صدق نيتهم أعانهم فيما طلبوا وأرادوا.

ويكفيك أيها الصنف أن تحسن النية حتى تؤجر على العمل وإن لم تستطيع أن تعمله، ولكن حسبك أن يرى الله منك صدق الإقبال علي العمل مع العجز عنه.

– وانظر إلى قول النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس قال: لما خرج رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – في غزوة تبوك قال: ((إن بالمدينة أقوامًا ما قطعنا واديًا ولا وطئنا موطئًا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة، ولا أصابتنا مخمصة إلا شاركونا في ذلك وهم بالمدينة)). قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا؟ قال: ((حبسهم العذر)). فشاركوا في الأجر بصدق نيتهم.

– وأخرج النسائي من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ((من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقه عليه من ربه))(1).

– وأخرج الإمام مسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغَه الله منازل الشهداء وإن مات على فِراشه)).

ولله در القائل:

يَا سَائِرِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ = سِرْتُمْ جُسُومًا وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحًا

إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ وَقَدْ رَاحُوا = وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا

*** الصنف الرابع: صنف ليس معه مال لكن تشتاق نفسه وتهفو روحه إلي بيت الله الحرام**

وهذا الصنف هو الذي يحترق قلبه شوقًا إلى بيت الله الحرام، تذرف دموعه كلما جاء موعد الحج، فلا يهنأ بطعام ولا يغمض بمنام، فهم الذين تعلقت قلوبهم ببيت محبُوبهم، فكلما ذكر لهم ذلك البيت حَنُّوا وكلما تذكروا بعدَهم عنه أنُّوا، فهؤلاء كالذين قال الله فيهم: { وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ} [التوبة: 92].

علم الله هذا من حالهم، فمَنَّ عليهم بأعمال تثلج صدورهم، وتطفئ نار الشوق والحنين إلى بيت رب العالمين فشرع لهم من الأعمال ما يعطيهم به أجر الحجاج والعُمّار وهذه الأعمال كالماء البارد على الظمأ وهي البلسم الشافعي والدواء الكافي التي تروي غليل القلوب المشتعلة شوقًا لرؤية البيت العتيق ومسجد الحبيب – صلَّى الله عليه وسلَّم.

وإليك طرفًا من هذه الأعمال:

1– الجلوس بعد الفجر في المُصلى وذكر الله تعالى حتى طلوع الشمس ثم تصلي ركعتين:

– أخرج الترمذي من حديث أبي أُمامة أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((من صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله عزَّ وجل حتى تطلع الشمسُ ثم قام فصلى ركعتين كتب له أجر حِجة وعمرة تامة تامة تامة)). فإذا جلست عن هذا العمل الجليل وهو الحج، وذلك لعذر، فهاك الأجر، فلا يَفُتْكَ الأجر إذا كنت صادق النية.

– وعند الترمذي من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكُرُ اللهَ حتى تطلع الشمسُ ثم صلى ركعتين؛ كانت له كأجر حجةٍ وعمرةٍ تامة تامة تامة متقبلتين)).

– وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن حسنه الألباني عن ابن عمر– رضيَ الله عنه – قال: كان رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إذا صلي الفجر لم يقم من مجلسه حتى تمكنه الصلاة، وقال: ((من صلى الصبح ثم جلس في مجلسه حتى تمكنه الصلاة؛ كان بمنزلة عمرة وحجة متقبلتين)).

2– حضور مجالس العلم في المسجد:

– فقد أخرج الطبراني والحاكم عن أبي أمامة عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه كان كأجر حاجٍّ تامًّا حجته".

3– الدعوة إلى هذه الفريضة – حضور مجالس العلم في المسجد – والترغيب فيها:

– فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول: ((مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)).

4– أداء الصلاة المكتوبة في المسجد:

– فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أبي أمامة أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة ومن مشى إلى صلاة تطوع (أي صلاة الضحى) فهي كعمرة نافلة)).

– وقد أخرج أبي داود من حديث أبي أمامة أيضًا أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين".

فلا تتعجب من هذا الأجر ولكن العجب كل العجب من يتوانى ويتكاسل عن هذا الأمر، وأنظر عندما يخرج المسلمون من بيوتهم متطهرين لأداء الصلاة المكتوبة في جماعة في المسجد وفي وقت واحد، وهذا يشبه خروج الحجيج من بيوتهم متوجهين بقلوبهم وأبدانهم إلى البيت المعظم لأداء مناسك الحج...

فكما يجتمع الحجاج صغيرهم وكبيرهم لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء، كذلك في الصلاة (صلاة الجماعة) يجتمع أغنى الناس إلى جنب أفقر الناس والأمير إلى جنب المأمور والحاكم إلى جنب المحكوم والصغير إلى جنب الكبير وهكذا فيشعر الناس بأنهم سواء.

فكل من يحافظ على الصلوات يكون شريكًا للحاج يوم حجه فأجره كأجر الحاج المُحرم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

فما أعظم أن يكتب لك هذا الأجر بجانب شهادة الله لك بالإيمان وكفى بشهادة الله شهادة إذ شهد لمن عمر المساجد بالإيمان.

فقال عزَّ شأنه: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ} **{التوبة: 18}**

5- صلاة العشاء والغداة في جماعة:

- أخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر - رضيَ الله عنه - : أن أناسًا من أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. فقال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((أوليس قد جعل الله لكم صلاة العشاء في جماعة تعدل حجة، وصلاة الغدة في جماعة تعدل عمرة!)).

6- الأذكار بعد الصلاة:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضيَ الله عنه -: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقالوا: ذهب أهل الدُّثور بالدرجات العلى والنعيم المُقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال: يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون. فقال - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟)). قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين)).

- قال أبو صالح الراوي عن أبي هريرة: لما سئل عن كيفية ذكرهن قال: ((يقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين)).

* عمرة في رمضان:

فإن عجزت عن الذهاب إلى الحج لقلة النفقة فاجتهد أن تعتمر في رمضان؛ فإن هذا فيه ما فيه من الأجر فهو يعدل كحجة مع النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم.

- فقد أخرج البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عباس أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال لامرأة من الأنصار يُقال لها أم سنان: ((ما منعك أن تكوني حججتِ معنا؟)). قالت: ناضحان كانا لأبي فلان - زوجها- حجَّ هو وابنه على أحدهما ، وكان الآخر يسقي غلامنا . قال: ((فعمرة في رمضان تقضي حجة)). أو: ((حجة معي)).

* بر الوالدين:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– أخرج أبو يعلى بسند جيد أن رجلاً جاء إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقال: إني اشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. قال: ((هل بقى من والديك أحد؟)). قال: أمي. قال: ((قابل الله في برِّها، فإذا فعلت فأنت حاجٌّ ومعتمرٌ ومجاهدٌ)).

– وعند الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس – رضيَ الله عنه – بلفظٍ آخر: " أنه أتى رجل إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال: إني أشتهي الجهاد وإني لا أقدر عليه، فقال له الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – ((هل بقي أحد من والديك؟)). قال: أمي. فقال له رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ((اتَّقِ الله فيهما، فإن فعلت فأنت حاجٌّ ومعتمرٌ ومجاهدٌ)).

فلا عجب ولا غرور في ذلك، فأمتنا أمة مرحومة، كتب الله عليها أعمال هي صغيرة في العمل ولكنها كبيرة في الأجر، ككلمة آمين خلف الإمام، وكليلة القدر، وكصيام يوم عرفة، وكصيام يوم عاشوراء، وكالذكر الذي هو غراس الجنة، وكالدعاء عند الانتهاء من الطعام، وكالسعي للجمعة وغير ذلك.

فإن عجزت أن تكون من وفد الرحمن في هذا العام فلا تعجز أن تتشبه بهم، وانظر إلى قول النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – الثابت في صحيح مسلم من حديث سعيد بن المسيب يقول سمعت أم سلمة زوج النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – تقول: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ((من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذي الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا حتى يضحي)). وهذا فيه ما فيه من الشبه بالحاج لتعيش ما يعيشه الحاج من روحانيات جميلة.

– وإن عجزت أن تقدم الهدى في بيت الله الحرام فلا تعجز أن تقدمه كل جمعة؛ فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبش أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)).

– وإن عجزت أن تكون فيمن يباهي الله بهم الملائكة هناك – أي في عرفة– فلا تعجز أن تكون ممن يباهي الله بهم الملائكة هنا في مجالس الذكر، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري – رضيَ الله عنه – قال: خرج معاوية على حلقة في مسجد فقال: ما أجلسكم؟، قالوا: جلسنا نذكر الله قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أقل عنه حديثا مني وإن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – خرج على حلقة من أصحابه فقال: ((ما أجلسكم؟)). قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا . قال: ((آلله ما أجلسكم إلا ذاك)). قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال: ((أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة)).

فكفى بالذكر شرفًا أن الله عزَّ وجلَّ يباهي ملائكته بأهله كما يباهي الملائكة بالحجاج.

– فقد أخرج الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((إن الله – عزَّ وجلَّ – يباهي بالحاج الملائكة فيقول: أنظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرتُ لهم)).

*** فإن عجزت أن تكون فيهم – أي في الحجاج– فلا تعجز في أن تجتهد في الأيام العشر الأُوَّل من ذي الحجة**

فإن هذه الأيام المباركات أفضل أيام الدنيا وهي من النفحات الربانية على الأمة المحمدية وهي من مواسم الخيرات التي تتفاضل فيه الأعمال وتزداد وهي أيام يشترك فيها القاعدين والسائرين إلى البيت العتيق فمن عجز عن الحج فإنه يقدر أن يعمل أعمالاً وهو في بيته أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج.

– فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام (يعني الأيام العشر))، فقالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ((ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء)).

– وقد مرَّ معنا في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أنه قال: سُئل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: أي العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله)). قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)). قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور)).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقدم الجهاد على الحج في الفضل وفي هذه الأيام العمل فيها أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج.

فيا أيها الأحبة:

من بعدُ منكم عن حرم الله فلا يُبْعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله فإن رحمة الله قريب ممن تاب لله واستغفر.

- ومن عجز عن حج البيت، أو البيت منه بعيد، فليقصد رب البيت فإنه من دعاه ورجاه أقرب إليه من حبل الوريد.
- ومن فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بحقه الذي عرفه.
- ومن عجز عن المبيت بمزدلفة فليبيت عزمه على طاعة الله وقد قربه وأزلفه.
- ومن لم يقدر على نحر هدية بمنى فليذبح هواه هنا وقد بلغ المنى.

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: 21].

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك